مؤمن آل ياسين
وأصحاب القرية
دروس وعبر - الجزء الرابع

الشيخ الدكتور
أبي عبد الرحمن
سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَصَصُ القرآنِ والسُّنة

مؤمن آل ياسين وأصحاب القرية

دروسٌ وعِبَر – الجزء الرابع

تأليف الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور
أبي عبد الرحمن
سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فاللهُ جلَّ وعلا قصَّ علينا القَصَصَ في القرآنِ العظيمِ لأخذ العِبْرةِ والعِظةِ منها، ولِنتعلَّمَ ما فيها من الأحكامِ، قال اللهُ تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٦].

وكذلك ضرَبَ اللهُ الأمثالَ في القرآن العظيم أيضًا لأخذ العبرةِ والعظةِ منها، ومن هذه القَصَصِ والأمثالِ قصةُ أصحابِ القريةِ في سورة يسّ.

وهي قصةٌ عظيمةٌ قصَّها اللهُ تعالى على النبي ﷺ ليضربَها مثلًا لقومِه الكفارِ المعاندين؛ ليبينَ لهم أن اللهَ تعالى برحمته الواسعة يرسلُ الرسلَ لهداية الخلق، فمن أطاعهم دخل الجنةَ، ومن عصاهم فقد عرَّض نفسَه لعذابِ الله وعقابِه في الدنيا والآخرة، وهذا ما نُلقي الضوءَ عليه تفصيلًا في هذه السطورِ بمشيئة الله تعالى ومعونته.

واللهَ أسألُ أن يتقبلَ منا صالحَ الأعمال، وأن يتجاوزَ عنا وعن المسلمين، وأن يرزُقَنا الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وصلى اللهُ وسلَّمَ وبارك على نبيِّه محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين!

دكتور/ سمير أحمد الصباغ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

الآيات الواردة في القصة

قال الله تعالى:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن

جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ١٣-٣٠].

المبحث الثاني

تفسير الآيات وبيان معانيها

يقول اللهُ تعالى للنبيِّ محمدٍ ﷺ: اضرِب لهؤلاء المشركين المكذِّبين لك ولدينك من مشركي مكةَ وغيرهم مثلًا يعتبرون به، ويتعظون بمَن كان قبلهم من المكذِّبين للرسل، كيف فعل الله بهم بشؤم تكذيبِهم وعنادِهم، وهذا المثل هو قصةُ أصحاب القرية الذين أرسل اللهُ إليهم رسولين لدعوتهم وهدايتهم، فكذَّبوهما وعاندوهما، فأرسل اللهُ إليهم رسولًا ثالثًا يعضدُ به الأَوَّلين؛ لدعوتِهم إلى الإيمان بالله تعالى، وترك عبادةِ ما سواه، فكذَّبوا الرُّسُلَ الثلاثةَ، واحتجوا على تكذيبهم بأنهم بشرٌ مثلهم، وأن الله لم يُنزِلْ عليهم وحيًا، ولم يُكلِّفْهم بشيءٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالت الرسل: اللهُ يعلم أنَّا صادقون ومرسَلون من الله، ولو كنَّا نكذِب على الله لأهلكنا وانتقم منَّا؛ لكنه سبحانه حفِظَنا وأيَّدَنا بالوحي والمعجزات الدالَّة على صِدقِنا، ونحن مُكلَّفون بالبلاغِ عن الله تعالى، وسوف نُبلِّغُكم رسالتَه، والهدايةُ بيده وحدَه سبحانه!

فقال أهلُ القرية المشركون للرُّسُلِ الثلاثة: إنَّا تشاءمنا بكم؛ لأنكم حينما تأتون ويكذِّبكم الناسُ ينزلُ عليهم العذابُ والبلاء من الله تعالى، وإن لم تسكتوا عن هذه الدعوةِ فسوف نقتُلُكم ونُعذِّبكم، وهذه هي حجةُ العاجزِ الضعيف الذي ليس له حُجة، يستعمل سلاحَ التهديد والقهر والتعذيب ضدَّ أهل الحق.

فقالت لهم الرسلُ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾؛ أي: شؤمُكم على أنفسِكم بسبب الشِّرْك والمعاصي التي ترتكبونها، وتُسرِفون فيها.

وفي خِضَمِّ هذه الحوارات وهذا التكذيب من أهل القرية للرسل الثلاثة جاء رجلٌ صالحٌ من المسلمين الموحِّدين ينافحُ ويدافعُ عن الرسل الثلاثة، وعن دعوتِهم لتوحيدِ الله تعالى، ويردُّ على هؤلاء المشركين الذين يُهدِّدون الرسلَ بالقتل والتشريد،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فجاء هذا الرجل ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ أي من مكانٍ بعيدٍ في المدينة حين علِمَ أن أهلَ القرية همُّوا بقتل الرسل الثلاثة، وجاء مسرعًا واعظًا للناس، ومشفقًا عليهم، ومحذِّرًا لهم من تكذيبِهم للرسل، أو محاولة قتلهم وإيذائهم، وقال لهم متلطِّفًا: ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: اتبعوا الرسلَ الثلاثةَ، فهم صادقون أنَّهم من عند اللهِ سبحانه، ولا يطلبون منكم مالًا، ولا يريدون منكم جزاءً ولا شكورًا، وهم عبادٌ صالحون، مشهودٌ لهم بالعدالة والصِّدق والأمانة والخيرية من قبل بعثتهم، ومن بعد بعثتهم؛ لأن اللهَ عصَمَهم من الخطايا والدنايا، فهم يعمَلون بما يقولون، ثم دعاهم إلى التوحيدِ وإفرادِ الله تعالى بالعبادة؛ لأنه سبحانه هو الخالقُ، الرازقُ، المحيي، المُميت، المدبِّر لهذا الكون، والإلهُ الذي يستحقُّ العبوديةَ هو الخالقُ الذي ليس بمخلوقٍ، أما المخلوقُ فلا يكونُ إلهًا أبدًا، ولا يستحق العبوديةَ، فقال لهم: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ فالذي خلقني هو اللهُ، ولذلك أنا لا أعبدُ إلا اللهَ، الذى سنرجع إليه جميعًا، ويحاسبُنا على أعمالِنا في هذه الدنيا، إما إلى الجنَّةِ وإما إلى النار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم بيَّن لهم أن هذه الآلهةَ الباطلةَ التي يعبدونها- كالشمسِ، والقمر، والأضرحة، والقبورِ- لا تنفَعُ ولا تضُرُّ، وأن الذي يملكُ النفعَ والضرَّ هو اللهُ وحدَه لا شريكَ له، فهذه الأصنامُ والأوثان لا تملكُ لنفسها نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

ولو أن اللهَ تعالى أراد أحدًا منا بضرٍّ فهذه الآلهةُ الباطلةُ لا تملك من الأمر شيئًا، ولا تستطيع أن تدفعَ عنا هذا الضرَّ، ولو أني اعتقدت أنها تنفعُ أو تضر فأنا حينئذٍ في ضلالٍ مبينٍ وشِركٍ واضحٍ.

ثم صدَع بالحقِّ بأعلى صوته قائلًا: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾، فالله ربِّي وربُّكم وإن رغِمت أنوفُكُم، فهو خالقُكم ورازقُكم ومُحييكم ومميتكم، هو ربُّ جميعِ العالمين، فاسمعوني يا عبادَ اللهِ وأطيعوا نصحي فيما آمُرُكم من التوحيد والسنة واتباع رسل الله تعالى؛ حتى تنجوا من الهلاك!

فلما صدع بالحقِّ ودافع عن رسلِ الله ودعوتِهم، ولم يستطيعوا أن يردوا عليه الحجةَ بالحجةِ وعجزوا، قتَلوه؛ حتى لا يتبعَه أحدٌ من الناس فيُؤمنَ بإيمانِه، ويُسلِمَ بإسلامه.

فلما قتلوه بشَّرَتْه الملائكةُ وهو في النزعِ والاحتضار بالجنَّة، بسبب إيمانِه وتوحيدِه ودعوتِه لقومِه ودفاعِه عن الرسلِ وتبليغ دعوتهم.

فلما بُشِّرَ بالجنَّةِ فرِحَ بذلك، وتمنَّى لقومه الخيرَ، وأن يُسلِموا ويعلَموا مآلَ مَن آمَنَ وأسلم؛ لكي يدخلوا الجنَّة مثلَه.

فاللهُ جل وعلا غفَر له ذنوبَه، وأكرمه بالجنَّة، ورزقه الشهادةَ في سبيله ببركه جهادِه في سبيلِ الله بالعلمِ وتبليغِ دعوة الله ومساندتِه ودفاعه عن رُسُلِ الله وتمَسُّكه بالعملِ الصالح وصبرِه على ما أصابه، فأهلك اللهُ أهلَ القرية بسبب تكذيبِهم لرسلِ الله، وبسبب تعدِّيهم بالقتلِ على وليِّ اللهِ المجاهدِ الذي جاء من أقصى المدينة يسعى داعيًا إلى الله ومصدقًا للرسل، ولم يُهلِكْهم بإرسال ملائكةِ العذاب، وإنَّما أهلكهم بمجرَّدِ صيحةٍ؛ وهي صوتٌ مرتفعٌ شديد، صعقهم اللهُ به وقتَلَهم، فعذَّبهم بهذه الصيحةِ لحقارتهم عند ربِّهم.

فيا حسرتَهم وندامتَهم يوم القيامة على أنفُسِهم بسبب تكذيبِهم للرسلِ، وكفرِهم بالله، وظلمِهم لأولياءِ الله العالمين العاملين!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ لكفار مكةَ المعاندين؛ ليأخذوا العبرةَ منه، أنَّهم إن أصروا على كفرِهم وتكذيبِهم وعنادِهم، فإن اللهَ لهم بالمِرْصادِ، قادرٌ على إهلاكهم كما أهلك المكذبين من قبلهم، ومَن آمَنَ منهم فهو مِن المُكرَمِينَ عند الله في جنَّاتِ النعيم، ولذلك قال اللهُ بعد ذكر هذه القصةِ وهذا المثل: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يس:٣١-٣٢]؛ أي: ألم يعتبر هؤلاء المستهزئون بمَن قبلهم من القرونِ التي أهلكناهم أنَّهم لا يرجِعون إلى هذه الدنيا، وكلُّهم يومَ القيامةِ مُحضَرون للحسابِ والجزاء، فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعير.

المبحث الثالث

الدروس والعبر والفوائد الفقهية المستفادة من القصة

هذه القصةُ العجيبةُ وهذا المَثَل الرائعُ الذي قصَّه اللهُ علينا فيه ما فيه من الدروس والعلوم والعبر، نذكر منها ما يأتي:

الفائدة الأولى: الأمثالُ في القرآنِ العظيم.

١- الأمثالُ أسلوبٌ بلاغيٌّ يُستعمَل في توصيل المعنى المرادِ إلى السامع والقارئ.

٢- ضربُ الأمثال في القرآن مِنَّةٌ عظيمةٌ من الله لعباده، قال تعالى ممتنًّا علينا: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم:٤٥]، وقال اللهُ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: أكثَرْنا تصريفَ الأمثال بعباراتٍ مختلفةٍ وأساليبَ متنوعةٍ في القرآن للناس ليهتدوا للحقِّ ويتعظوا به، فعارضوا بالجدلِ والخصومة والعناد[1].

وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١].

٣-ومعني المثل: إعطاء شيءٍ منزلةَ شيءٍ عن طريق التشبيه وبيان وجهِ الشبه، ولا يشترطُ المطابقةُ من جميع الوجوه؛ بل يكفي ما يحقِّقُ الغرضَ.

٤-يعمد الكفارُ والمنافقون إلى اختراع أيِّ شيء يطعنون به في القرآنِ الكريم، ويسمونه شبهةً، ومن ذلك طعنهم أنَّ القرآنَ أكثرَ من ضربِ الأمثال، وأنَّه ذكر أمثالًا لا يليقُ أن تكون من عند اللهِ، كضربِ المثل بالذُّباب، والنحلِ، والنمل، والكلب، والعنكبوتِ والحِمار.

واللهُ سبحانه وتعالى الذي يعلَمُ مَن خلَقَ وهو اللطيف الخبيرُ قد ردَّ عليهم هذه الكذبةَ من قديمٍ فقال: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٢٩٩).

يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [البقرة:٢٦].

فبيَّن اللهُ أن المقصودَ من ضربِ المثل ليس أدواتِه وآلاتِه، وإنما المقصودُ الغايةُ منه، والعِبْرةُ، والعظةُ، والفائدة.

٥- الأمثالُ في القرآنِ على قسمين: صريح، وكامن.

المثلُ الصريح: هو الظاهرُ المصرَّح به أنه مَثَلٌ، كقوله تعالى: ﴿مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٤]، وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ [البقرة:١٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة:٥]، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾ [الأعراف:١٧٦]، ومثل ذلك من الآياتِ.

المثلُ الكامن: لا يُذكَر في النصِّ لفظُ المثل، وإنما يكون حكمُه حكمَ الأمثالِ، كقولِه تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَارٍ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة:١٠٩]، فالمثلُ هنا مأخوذٌ من مكنونِ النصِّ ودلالاتِه.

٦- الأمثالُ في القرآن الكريم عددها ثلاثةٌ وأربعون مثلًا، الصريح الظاهر منها واحد وأربعون، ومثلان كامنان.

٧- للأمثال في القرآن ثلاثةُ أنواع، وهي:

أ- التمثيل القصصي: وهو ما جاء ليبيِّنَ حالَ الأمم الماضية مع رُسُلِ الله وما جرى معهم؛ لأخذ العبرة والعظة، مثل هذه القصة التي نحن بصددها، قصة أصحاب القرية ومؤمن آل ياسين، ومثل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢].

وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم:١٠-١١].

ب- التمثيلُ الرمزي: وهو ما يأتي على لسانِ الطيور والحيوان والنبات، كقصةِ النملةِ مع سليمانَ، وقصةِ إبليسَ مع آدمَ، في رموزٍ لحقائقَ معلومةٍ؛ لأخذ العبرة والعظة والتعلم منها.

ج-التمثيل الطبيعي: وهو تشبيهُ الشيءِ غيرِ الملموس بالشيء الملموس، والشيء المتوهَّمِ بالشيء المشاهَدِ؛ على أن يكونَ ذلك في الأمورِ التكوينية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:٢٤].

٨- من أهمِّ فوائدِ ومجالات الأمثالِ في القرآن:

التذكيرُ والوعظ، والحثُّ والزجر، والاعتبارُ والتذكر، والهدايةُ للخير، والتحذيرُ من الشر، وتقريبُ المراد للعقل وتصويرُه بصورةِ المحسوس؛ ليثبُتَ في الأذهان، وأنها قد ميَّزتِ الصالحَ من الطالح، وصوَّرتِ الخبيثَ والطيب، وبيَّنتِ الإيمانَ، ومثَّلتْ به، وكشفتِ الكفرَ وردَّتْ شُبَهَه، وفضَحتِ النِّفاقَ وأهلَه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن فوائد ضرب الأمثال: عقلُها وتفهُّمُها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]، وعن عمرِو بن العاصِ رضي الله عنه قال: عقَلتُ عن رسولِ الله ﷺ ألفَ مَثَلٍ[١].

قال الحافظ ابنُ كثيرٍ: وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لعمرِو بن العاص[٢].

قلت: لأنه لا يعقِلُ الأمثالَ ويفهَمُها ويتدبَّرُ ما فيها إلا العالمُ.

ومن فوائد المثل: أنه إن كان ذمًّا كان وَقعُه أشدَّ، وحَدُّه أحَدَّ. وإن كان حِجاجًا كان برهانُه أنورَ، وسلطانُه أقهرَ. وإن كان افتخارًا كان شرفُه أجَدَّ، ولسانه ألَدَّ. وإن كان اعتذارًا كان إلى القبولِ أقربَ وللقلوبِ أخلَبَ. وإن كان واعظًا كان أشفى للصدرِ وأبلغَ في الزجر، وأدعى للفكر[٣].

أمَّا عن وجوهِ ضربِ الأمثال في القرآن فهي كالآتي:

أ- يُضرَبُ المثلُ لإخراج الغامض من الظاهر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٨٠٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٩).

(٣) انظر: أسرار البلاغة (ص١١٥).

ب- يأتي بمعنى الصفة، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]؛ أي: الصفاتُ العلى التى لا يشابهه فيها أحدٌ من خلقه، وكقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ...﴾ [الفتح:٢٩].

ج- تشبيهُ المعنويِّ الخفيِّ بالحسيِّ، والغائبِ بالشاهد، كتشبيه الإيمانِ بالنور، والكفرِ بالظلمة، والكلمةِ الطيبة بالشجرة الطيبة، والكلمهِ الخبيثة بالشجرة الخبيثة.

د- لبيان الحالِ؛ كبيانِ حال المنافقين في قولِه سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧].

هـ- يُضرَبُ المثلُ أحيانًا بوصفه نموذجًا للإعجازِ والتحدي والأمر العجيب، قال النبيُّ ﷺ: «**كَانَ الكِتَابُ الأَوَّلُ نَزَلَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ القُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ، عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَاجِرٍ، وَآمِرٍ، وَحَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وقل:**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران:٧]»[١].

٩- التحذيرُ من عدمِ الانتفاع بالأمثال؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝٣٩﴾ [الفرقان:٣٩]؛ أي: كلُّ الأمم بيَّنَّا لهم الحُجَجَ، ووضَّحنا لهم الأدلة، فلم يؤمنوا، فأهلكناهم إهلاكًا، وعذَّبناهم تعذيبًا.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت:٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الحشر:٢١]، وقال: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥﴾ [إبراهيم:٢٥].

فالأمثالُ لا يستفيدُ بها إلا العالمُ المتفكِّر المتذكر بتوفيقِ اللهِ.

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣١٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٥).

الفائدة الثانية: من فوائد قصةِ مؤمن آل ياسين أنَّ طريقَ العلمِ الصحيح هو الوقوفُ مع الحقائق، وترك التعرُّض لما لا فائدةَ فيه.

فاللهُ تعالى ذكر هذه القصةَ، وضرَبَ هذا المثلَ لأخذ العِبْرة والفوائدِ منها، ولم يتعرَّضْ لذكر أسماءِ الرسلِ الثلاثة، ولا إلى اسمِ القرية، ولا اسمِ الرجل المؤمنِ الذي جاء من أقصى المدينةِ يسعى؛ ليدافعَ عن التوحيدِ والرُّسُلِ، وإنما المقصودُ من القصة بيانُ أن اللهَ خلَقَنا لعبادتِه بطاعتِه وطاعةِ رسله، مع بيان مصير الطائعين إلى النعيم، ومصير العاصين الكافرين إلى الجحيم.

الفائدة الثالثة: بيان الحِكمة من إرسال الرسل:

فقد أرسل اللهُ تعالى رُسُلَه وأنبياءَه إلى خلقه؛ ليُبلِّغوهم دعوةَ الله ويُعلِّموهم دينَ الله، ويهدوهم إلى الطريق المستقيم طريقِ الجنَّةِ؛ حتى لا يكونَ لأحدٍ حجةٌ أنه لم تبلُغْه الدعوةُ، قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة:١١٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا دخل أهلُ النارِ النارَ قالت لهم الملائكةُ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر:٧١].

فجاءت الرُّسُلُ لتتلوَ على الناس آياتِ اللهِ من كتابِه وسنَّتِه، ولتنذرَهم عذابَ القيامة، وتبشِّرَهم بنعيمها، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]؛ أي: أنَّ اللهَ تعالى من رحمته لا يُعذِّب أحدًا إلا بعد إقامةِ الحجة عليه.

والرسل كلُّهم رجالٌ من بني آدمَ، وهم معصومون بعصمةِ الله لهم من الذنوبِ، والكبائر، والشِّرك، والبدعة.

وجميعُ الرسل جاؤوا بدعوةِ التوحيد الذي هو إفرادُ الله وحدَه بالعبادة، فقولهم: «لا إلهَ إلا اللهُ»؛ أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وما من أمَّة إلا أرسل اللهُ إليهم رسولًا، سواء كانوا عربًا، أو عجمًا، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر:٢٤].

واللهُ تعالى لم يذكُرْ في كتابِه جميعَ الرسل، وإنما اكتفى بذكر بعضِهم فقال: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر:٧٨].

والإيمانُ بهم جميعًا واجبٌ جملةً وتفصيلًا، فمن كفَرَ بنبيٍّ واحدٍ فقد كفَرَ بجميعِ الأنبياء والرُّسُل.

واللهُ جل وعلا أرسلَ لأهلِ هذه القرية هؤلاء الرسلَ ليدعوهم إلى توحيدِ الله، ونَبْذِ الشِّركِ، ومظاهرِ العبودية لغيرِ الله.

الفائدة الرابعة: بيان جواز تعدد الرسل في زمن واحد ومكان واحد.

ففي هذه القصة أرسل اللهُ ثلاثةَ رسلٍ لأهل هذه القرية، كما كان داودُ وسليمانُ في زمنٍ واحد، وكذلك موسى وهارون، وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام.

الفائدة الخامسة: وجوب إرسال الدعاة إلى البلدان.

وذلك ليعلِّموا الناسَ القرآنَ والسُّنةَ، ليُعلِّموهم التوحيدَ، ويُحذِّروهم من الشِّرك ومظاهرِه، ليُعلِّموهم السنةَ، ويُحذِّروهم من البدعة، وإرسالُ الدعاة مسؤوليةُ ولاةِ الأمور من المسلمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السادسة: وجوب طلب العلم الشرعي؛ وذلك بتعلمِ علومِ الشريعة من الكتاب والسُّنة، لأن الداعيَ إلى الله لا يستطيعُ القيامَ بمهمةِ الدعوة والتعليم إلا إذا كان على علمٍ بما يدعو إليه، قال ﷺ: «**خَيرُكُم مَنْ تَعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَهُ**»(١).

الفائدة السابعة: وجوب نُصرةِ أهلِ العلم وتعضيد بعضِهم لبعض، وإرشادِ بعضهم على بعض؛ فاللهُ تعالى أرسل رسولين، ثم عضدهم بثالثٍ؛ ليكون معينًا لهم ونصيرًا.

الفائدة الثامنة: وجوب الدفاع عن أهل الحق والاتباع.

فهذا الرجلُ المؤمنُ قد جاء من أقصى المدينة يسعى للدفاع عن الرسل وعن دعوتِهم، وقد قام أيضًا بدعوةِ التوحيد، والجهرِ والصدع بكلمة الحقِّ؛ حتى قتَلوه شهيدًا مبشَّرًا بالجنَّة.

الفائدة التاسعة: وجوبُ العذرِ بالجهل

فاللهُ جل وعلا حكَمٌ عدلٌ، لا يحكُمُ على أحدٍ بالضلالِ أو العذاب إلا بعدَ أن يُبيِّنَ له الحقَّ من الباطل، ويقيمَ الحُجَّةَ عليه بالرسلِ والكتبِ وأتباعِ الرسل، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة:١١٥].

ومن أدلة العذر بالجهل:

١-قول الله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، واللهُ تعالى قال: «**قد فعلتُ**»(١).

فالذي ارتكب شيئًا خطأً من الشِّركِ أو من المحرَّم جاهلًا حُكمَه، فيُعفَى عنه حتى يعلَمَ، ولذلك قال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب:٥].

٢- عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا**

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»[١].

فهذا رجل أنكر قدرةَ الله على جمعِه بعدَ موته بصُنعِه هذه الحيلةَ جاهلًا، فعذره اللهُ بجهله، وعفا عنه، وغفَرَ له.

٣- وعن أبي واقدٍ الليثيِّ رضي الله عنه قال: خرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ قِبَلَ حُنينٍ، فمرَرْنا بسِدْرةٍ، فقلنا: يا نبيَّ الله، اجعَلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ. فقال: **قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى** : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨]، **إِنَّهَا السُّنَنُ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً**»[٢].

فالنبيُّ ﷺ عذر المسلمين الجُدُد بجهلِهم لما سألوه شجرةً يتبرَّكون بها كالمشركين، ولم يُكفِّرْهم.

والأدلةُ على ذلك كثيرةٌ من الكتابِ والسُّنة، ونكتفي بهذه الإشارةِ للدلالةِ على المراد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨٩٧).

الفائدة العاشرة: حجة أهل الباطل في تكذيبهم للرسل أنهم بشَرٌ مثلُهم.

هؤلاء المشركون قالوا لرسلهم الثلاثةِ: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾ [يس:١٥]، وهذه هي الحجةُ نفسها التي قالها المشركون من قبلُ لجميعِ الأنبياء، فكان جوابُ الرسل: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ [إبراهيم:١١]؛ أي: نعَمْ، نحن بشرٌ مثلكم، ولكن اللهَ تعالى فضَّلنا عليكم بالوحيِ، ومَنَّ علينا بمزيدٍ من الرحمة والرعاية والاصطفاء والتربية، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيم، ولا يُسأل عما يفعلُ وهم يسألون، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج:٧٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠].

ولو كنَّا كَذَبةً على الله لأهلَكَنا، فكلُّ مَن كذَب على الله وادَّعى لنفسِه النبوةَ والرسالةَ كذبًا وزورًا أهلَكَه اللهُ وفضحه، لكننا رسلٌ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الله، واللهُ يؤيِّد رسلَه بالمعجزاتِ والآياتِ البيِّنات، وينصُرُهم على مَن يعاديهم.

الفائدة الحاديةَ عشرةَ: الحَسَدُ داءٌ عُضالٌ

الحسدُ يمنع صاحبَه من الخيرِ، ويعينه على الشرِّ، فالذي منع هؤلاء المكذبين المشركين من الإيمان بالرسل هو الحسدُ؛ إذ ألقى الشيطانُ في قلوبهم الحسدَ باستكثار النِّعمة على الرسل، كيف يكون هؤلاءِ أفضلَ منا؟!

كيف فضَّلهم اللهُ بالرسالة، والعلمِ النافع، والعملِ الصالح، والخلق الجميل، وأعطاهم ما لم يعطنا؟!

كيف نكون نحن تبعًا لهم؟!

والحسدُ حمل إبليسَ على الكِبْرِ والكفرِ بالله، وعلى أن يفضِّلَ دخولَ النار على الجنَّة، وأن يكون عدُوًّا لله وملائكتِه ورسلِه وعباده الصالحين.

والحسدُ حمل ابنَ آدمَ الأولَ على أن يقتُلَ آخاه؛ لأن اللهَ فضَّله عليه بقبولِ العمل بسبب تقواه وإخلاصِه لله.

والحسدُ حمَل إخوةَ يوسُفَ ﷺ على أن يفعلوا به ما فعلوا.

والحسدُ حمَل أهلَ مكةَ على الكفر بالنبيِّ محمدٍ ﷺ، ومعاداتِه، ومحاولة قتله، وإخراجه من بلده وغير ذلك من البلايا.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾

[الزخرف: ٣١-٣٢].

الفائدة الثانيةَ عشرةَ: الدعاةُ المخلصون الموحدون لا يمنعهم مانعٌ من تبليغِ دعوة الله.

فهم يدعون إلى اللهِ بكلِّ الطرق والوسائل وفي كلِّ الأماكن مهما كانت الظروفُ، فهذا نبيُّ الله يوسُفُ ﷺ يدعو إلى اللهِ في السجنِ، ويقول: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾

[يوسف: ٤٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا نبيُّ الله إبراهيمُ ﷺ يناظرُ قومَه عُبَّادَ الأوثانِ وقومَه عُبَّادَ الكواكبِ والنجومِ في أماكنهم، وهذا موسى ﷺ يدعو إلى اللهِ ويناظر فرعونَ في قصره، ويناظره والسَّحَرة في الفضاء الواسع في يومِ الزينة في وقت الضحى.

فالداعي المخلِصُ عنده إصرارٌ على تبليغ دعوة اللهِ مهما كانت الظروفُ، قالت الرسل في هذه القصة لقومها: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ مؤكِّدين بذلك بنونِ التوكيد الثقيلة ولام التوكيد.

والنبيُّ محمدٌ ﷺ يدعو إلى الله في كل مكانٍ، يمشي في سوق ذي المجازِ ويقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**»[1].

ويُعلِّمُ الصحابةَ في دار الأرقمِ بن أبي الأرقم، ويذهب إلى الطائفِ لدعوة أهلها، ويبايعُ الأنصارَ عند العقبة، ويهاجرُ إلى المدينة، ويرسلُ الرسائلَ للملوك والأمراء، ويبعث الدعاة شرقًا وغربًا، فبعث معاذًا إلى اليمن، وعليًّا ليهود خيبرَ، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (٣٩).

الفائدة الثالثة عشرة: الطِّيَرةُ شِركٌ.

الطِّيَرةُ هي التشاؤمُ من شخصٍ، أو مكانٍ، أو يومٍ، أو ساعة ونحو ذلك، أو التفاؤلُ به، وهي من الشِّرك بالله تعالى؛ لأنها اعتقادٌ في غير الله تعالى بالنفع والضرِّ، ولأنها سببٌ غير شرعيٍّ لما زعمه صاحبها.

والمشركون كانوا يتشاءمون بالأنبياء والرسل؛ لأنهم يدعونهم إلى التوحيدِ والهدايةِ والاستقامة، وعبادةِ الله الواحد، فكانوا يُكذِّبونهم، فإذا كذبوهم أنزل اللهُ عليهم عذابَه ونقمتَه، لذلك قالوا للرسل ههنا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: تشاءمنا بمجيئكم، لأننا سنكذِّبكم، وإذا كذَّبْناكم نزل علينا البلاءُ والعذابُ، ولذلك قالت لهم الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾؛ أي: شؤمُكم على أنفسكم بشِركِكم ومعاصيكم.

وهذا التشاؤمُ والتطيُّرُ هو ما زعمته الأممُ الكافرة مع أنبيائها، ونُمثِّل بقصةِ فرعونَ وقومِه مع نبيِّ الله موسى عليه السلام؛ حيث قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ [الأعراف: ١٣٠-١٣٧]؟

الفائدة الرابعة عشرة: العملُ للدين مسؤولية الجميع.

لما همَّ الكفار بقتل الرسل الثلاثة وهددوهم بالرجم والعذاب الأليم، نهض رجلٌ من المسلمين، وجاء يسعى من أبعد مكانٍ في المدينة، جاء مدافعًا عن رسل الله، منافحًا عن توحيدِ الله، ناشرًا لدعوة الله؛ لعلمه أن الأنبياءَ ليسوا مسؤولين وحدَهم عن تبليغِ الدعوة، بل أتباعُ الأنبياء كذلك مكلَّفون بحمل أمانة الدينِ وتبليغها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في أرضِ الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

فالرسولُ وأتباعُ الرسول يدعون إلى اللهِ تعالى على بصيرةٍ، فمع وجودِ ثلاثةٍ من الرسل مؤيَّدين بالوحيِ من الله، لم يمنع ذلك أن يكونَ هذا الرجلُ المجاهدُ الموحِّد المخلص قائمًا بدين الله تعالى، وهذا هو الواجبُ على كل مسلمٍ؛ أن يكون داعيًا بحسب استطاعته، ولا يتكلمُ إلا فيما يحسن لقول النبيِّ ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»[١]، ولقوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[٢].

فكلُّ إنسان يُغيِّر من المنكر بحسب علمِه واستطاعته، ويكون تغييرُ المنكر بغيرِ منكرٍ، والأمرُ بالمعروف يكونُ بالمعروفِ بالعلم والحِكمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الخامسة عشرة: من أهمِّ أسبابِ نجاح الداعي إلى الله في دعوته والمعلِّم في تعليمِه والمربي في تربيته أمران:

الأول: زهدُه في دنيا الناس، وعدمُ منافسته لهم على دنياهم، وألا يأخُذَ على دعوته أجرًا.

الثاني: صلاحُه وتقواه واستقامته على منهجِ الله تعالى.

حيث قال الرجلُ المؤمن الصالح: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾؛ أي هؤلاء الرسل علماءُ ربانيون، لا يريدون منكم مالًا ولا شيئًا من عَرَضِ الدنيا، وهم أناسٌ صالحون ملتزمون، يعملون بما يقولون، فذلك أدعى لطاعتهم وإجابةِ دعوتِهم.

الفائدة السادسة عشرة: توحيدُ الله وإفرادُه بالعبودية غريزةٌ فِطرية، وسنة ربانية

فاللهُ تعالى هو الخالقُ، والذي خلَقَ ورزق وبرأ وأحيا وأماتَ هو الأحقُّ وحدَه أن يُعبَدَ، وأن يُسجَدَ ويُركَعَ له، يُدعَى ويُسأل وحدَه، وجميعُ الأعمال تكون لوجهه وحدَه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ [البقرة:٢١]، فالذي خلَق هو

الذي يُعبَدُ، وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣]، فالذي خلق ورزَقَ هو اللهُ، وهو المستحقُّ للعبادة.

وهذا بمقتضى العقلِ الصحيحِ والفِطرة السليمة والشرع الحنيف، وهذا هو الذي احتج به مؤمنُ آل ياسين في إثبات ألوهيَّةِ الله، وتوحيدِه بالعبادةِ، وبطلان عبادة ما سواه؛ حيث قال لقومِه: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وهذا هو منهجُ الأنبياء، يُثبِتون الألوهيَّةَ والربوبيَّةَ للهِ الواحدِ القهار، ويوجِبون إخلاصَ العبوديَّة لله وحدَه، فهذا نبيُّ الله نوحٌ عليه السلام يقولُ لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح:١٣-٢٠]؛ أي: اللهُ تعالى هو الذي خلَقَكم، وخلق كلَّ شيءٍ، فلا يستحق العبوديَّةَ إلا هو.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا نبيُّ الله إبراهيمُ ﷺ يقولُ لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٨١]؛ فاحتج إبراهيمُ على وجوبِ الألوهية والعبوديه لله بأنه ربُّ العالمين الذي خلقهم وهداهم، وأطعمهم وسقاهم، وشفاهم وعافاهم، وأماتهم وأحياهم.

فهذا حوارٌ عقليٌّ فِطريٌّ هادئ في إثبات الربوبيَّة والألوهيَّة والعبودية لله وحدَه؛ بل وإثبات وجوب الألوهيَّة لله بمقتضى ربوبيَّته.

الفائدة السابعة عشرة: النفعُ والضرُّ لا يملكه إلا اللهُ

وهذا دليلٌ آخرُ من أدلة وجوب إثبات الألوهية والعبودية لله وحدَه لا شريكَ له، فالله هو الخالقُ وحدَه لكل شيءٍ، للخير والشرِّ، والنفعِ والضر، وهو المالك لكل شيءٍ، وهو الملِكُ المليكُ الآمر الناهي المتصرِّف في كل شيءٍ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكُنْ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

ولذلك قال لهم مؤمن آل ياسين: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾؛ فهو يحتجُّ على قومه بأنَّ الأصنامَ والأضرحةَ التي يعبدونها من دون الله والقبورَ التي يطوفون حولها يسألونها المددَ ويذبحون لها ويَنذِرون لها ويرجونها من دون الله: لا تملكُ شيئًا، ولا تقدر على النفعِ ولا الضرِّ، ولا تسمعُ، ولا تتكلَّم، ولا تبصر، ولا تغني عنكم شيئًا.

وهذا كقولِه تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر:٣٨].

وكما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبذلك يكون هذا الرجلُ المجاهد قد أقام الحجةَ على قومِه بطريقةٍ عقليةٍ منطقيةٍ فِطرية شرعية، أولًا خاطبهم بلغة الرِّفقِ والشفقة قائلًا: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾؛ أي: أنا منكم وأنتم مني، وإني أخافُ عليكم وأحبُّ لكم الخيرَ، ثم قال لهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾؛ فالرسلُ هم صفوةُ الله من خلقِه، ومَن تبعهم فاز فوزًا عظيمًا ويكون صحابيًّا جليلًا لهم.

ثم بيَّن لهم مدى صلاحِ الرسل وزهدهم في الدنيا بأنَّهم أناسٌ يحبُّونكم، ويُشفِقون عليكم، ولايأخذون مالًا على دعوتهم، ثم بعد ذلك دعاهم هو بنفسِه، وبيَّن لهم سببَ إفراد الله تعالى بالألوهيةِ والربوبية والعبودية، فهو سبحانه الخالقُ، الرازق، المالك، الملك، الذي يملك وحدَه النفعَ والضرَّ، وأن هذه الأوثانَ والأحجارَ والأشجار والأموات والقبور والأضرحة والشمس والقمر لا تملكُ شيئًا، ولا تستطيع أن تجيبَ دعوةَ الداعي إذا دعاها، ولا تنفعُ ولا تضر.

الفائدة الثامنة عشرة: المنحرفُ عن التوحيدِ الصحيح في ضلالٍ مبينٍ

بل هو سفيهٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:١٣٠]، فمَن عبد غيرَ الله أو اتَّخذ معبودًا له مع الله من نبيٍّ أو وليٍّ أو حجرٍ أو شجرٍ أو صنمٍ وغير ذلك فهو ضالٌّ منحرِفٌ، كأمثالِ هؤلاء الصوفيةِ الذين يشُدُّون الرحالَ إلى الأضرحةِ والمقامات وقبور الصالحين، يقيمون لها الموالدَ، ويطوفون حولها، وينذِرون لها، ويذبحون، ويدعونها، ويتبركون بها، ويستغيثون ويعتقدون فيها النفعَ والضرَّ، ويتوجهوف لها بالخوفِ والرجاءِ وغير ذلك، فكلُّ هذه الأعمالِ عبوديةٌ لغير الله، وهذا هو الضلالُ البعيدُ والشِّرك الصريح.

الفائدة التاسعة عشرة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلًا ولا يمنع رزقًا

فالأجلُ محتومٌ، وبيد الله وحدَه، والرِّزقُ مقسومٌ، وبيد الله وحدَه.

فلما صدع هذا الرجلُ المؤمنُ بالحق، ودعا قومَه إلى التوحيد بكلِّ قوةٍ وجرأةٍ قام عليه قومُه فقتلوه؛ لأن أجلَه قد انتهى، والله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى رزقه سببًا للموت ينالُ به رضوانَ الله تعالى، وختم له بالجهادِ في سبيله بالعلم والحجَّةِ والبُرهان والبيان، فمات شهيدًا لأجله الذي أجله اللهُ له، فرحمه اللهُ ورضِيَ عنه.

الفائدة العشرون: من المراد بالشهيد؟

الشهيدُ هو الذي قُتِل بيد الكفار وهو يجاهدُ في سبيل الله بالعلمِ والبرهان، أو بالسيف والبنان؛ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا.

وهناك أنواعٌ أخرى من الشهداء غير شهيد المعركة، فعن أبي هريرة، قال رسولُ الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُم؟**». قالوا: يا رسول الله، مَن قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد. قال ﷺ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لقليلٌ**». قالوا: فمَن هم يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[1].

وقال ﷺ: « **الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** »[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣)، ومسلم (١٩١٤).

وقال ﷺ: «الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى القَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ: المَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ»(١).

وقال ﷺ: «مَن قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فهُوَ شَهِيدٌ»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٣).

وهذا الرجلُ (مؤمنُ آل ياسين) شهيدٌ من جملةِ الشهداء، ومن أهل الجنَّة بنصِّ القرآنِ الكريم؛ لأنه قُتِل في سبيلِ اللهِ بيد الكفارِ وهو يجاهدُ بلسانِه بالعلمِ والبُرهانِ، وبالحُجَّةِ والبيان؛ لتكون كلمةُ اللهِ هي العليا، وشهد اللهُ سبحانه له بذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦).

(٢) أخرجه النسائي (٤٠٩٣)، وأحمد (٢٧٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الرجلِ يقاتلُ حميةً، والرجلِ يقاتل ليُرَى مكانُه، والرجل يقاتل شجاعةً، فمَن في سبيل الله؟ قال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

سؤال: هل يجوزُ الجزمُ لشخصٍ بعينه أنه شهيدٌ، ونقول عنه: الشهيدُ فلان؟

والجواب: لا يجوز الجزمُ لأحدٍ بالشهادة إلا مَن شهد له الشرعُ بذلك؛ لأن النيَّات لا يعلمها إلا اللهُ، فقد يقاتل الإنسانُ ويجاهدُ من أجل الرياء والسُّمْعة، أو العصبية للقبيلة، أو لمجرد نيل الغنائمِ والأموال، فالذي يعلمُ ما في القلوب ويحكمُ عليه هو اللهُ وحدَه، ولذلك ذكر النبيُّ ﷺ رجلًا يُؤتَى به يومَ القيامةِ فيُعرِّفه اللهُ نِعَمَه فيعرفها فيقول: ما عمِلتَ فيها؟ فيقول: يا ربِّ، قاتلتُ فيك حتى استُشهِدتُّ. فيقول الله له: «**كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

فلا يعلمُ النيَّاتِ والخواتيمَ إلا اللهُ تعالى، ولذلك لا نشهد لأحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ إلا من شهِد له الشرعُ بذلك، فنحن نُحسِن الظنَّ ونتركُ الحكمَ للهِ تعالى.

الفائدة الحادية والعشرون: الشهيدُ الذي قُتِل بيدِ الكفار لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا من أهل الجنَّة وله عند ربِّه كراماتٌ عظيمةٌ.

فهذا الرجلُ المؤمن لما قام بأمر الله بنشرِ التوحيد والدفاعِ عن الرسل ابتغاءَ مرضاةِ الله، وقتله قومُه؛ بشَّرَه الله بالجنَّةِ؛ حتى قيل له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ،**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[١].

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ»[٢].

وهذا الرجلُ بنصِّ القرآن غُفِر له، ففي الحديث أنه يُغفَرُ له عندَ أول دفعةٍ من دمِه، ويرى مقعدَه من الجنَّةِ، فقال الله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

الفائدة الثانية والعشرون: المؤمن يُبشَّر بالجنَّة وهو على فراشِ الموتِ

فهذا الرجلُ المجاهد (مؤمن آل ياسين) بمجرد أن قتله قومُه وهو يحتضرُ ورُوحُه تخرجُ من بين جنبيه بشَّرَتْه الملائكةُ بالجنَّة، ولم يجد من ألم القتلِ إلا مثلَ مَسِّ القرصةِ، لقول النبيِّ ﷺ: «مَا

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ»[١].

والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]؛ أي: تتنزلُ عليهم الملائكةُ وهم في الاحتضار عند قبضِ أرواحِهم، تقولُ لهم: لا تخافوا على ما أنتم قادمون عليه، ولا تحزَنوا على ما تركتُموه وراءَ ظهوركم، وأبشِروا بالجنَّةِ التي كنتم تُوعَدون، نحن نصراؤُكم وأحبابُكم في الحياةِ الدنيا، وعند الموتِ، وفي القيامة، ولكم في الجنَّةِ ما تشتهيه أنفُسُكم، ولكم فيها ما تتمَنَّونَ وتشتهون، والجنَّةُ مسكنُكم ومنزلُكم من اللهِ الغفورِ الرحيم.

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ**

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٨)، وأحمد (٧٩٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ ﷺ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ . قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليه وَسَلم، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليه وَسَلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ» [(١)].

وما حصل لهذا الرجلِ المجاهدِ الصالح حصل لحرامِ بنِ مِلْحانَ الأنصاريِّ في حادثة بئرِ معونةَ، حين غدر المشركون بهم وقتلوه، فقال: فُزْت وربِّ الكعبةِ[(٢)].

وذلك ببُشْرى اللهِ وملائكتِه عندَ الموت.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠١)، ومسلم (٦٧٧).

ولفظ مسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة والعشرون: تمنِّي الشهداء الخيرَ وتكلُّمِهم بعد موتِهم وهم في قبورِهم.

قول العبد المؤمن: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾؛ يحتملُ أنه قاله بعد موتِه وهو منعَّمٌ في قبره، وهذا جائزٌ وواردٌ؛ لأن الحياةَ البرزخيةَ عالمٌ آخرُ، له أحكامُه، وقد ورد من الأدلة ما يبيِّن صحةَ ذلك، فعن جابر بن عبد الله أن رسولَ الله ﷺ لقيه فقال: «**يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**». قلت: يا رسولَ الله، استُشهِد أبي، وترك عليه دينًا وعيالًا. فقال: «**أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ**»[1].

ففي هذا الحديثِ أخبرنا نبيُّنا أن اللهَ كلَّم والدَ جابرٍ وأكرَمَه بكرامتِه، وكلَّمَه كِفاحًا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠).

وفي قصةِ أصحاب بئرِ معونةَ السبعين القُرَّاء الشهداء الذين قُتِلوا في سبيلِ اللهِ وهم يُبلِّغون دعوةَ الله- كحال مؤمنِ آل ياسين- أنَّهم نُعِّمُوا بعدَ موتِهم وهم في قبورِهم، قالوا: بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ.

وكانت قرآنًا يُتلَى، ثم نُسِخت تلاوتُه، وبقِيَ حكمُه.

وقد ورد في السُّنة الصحيحة أن النبيَّ ﷺ رأى موسى عليه السلام قائمًا يصلِّي في قبره، وكلَّمه في الإسراءِ، وكان بينهما محاورةٌ، ورأى نبيَّ الله إبراهيمَ، وقال له ﷺ: «**أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ**»[1]، وغير ذلك.

الفائدة الرابعة والعشرون: ينبغي على الداعي إلى اللهِ والمربِّي ومعلِّم الناس الخيرَ أن يتمنَّى لهم الهدايةَ والصلاحَ مهما كانت الظروفُ.

فهذا الرجلُ الصالحُ (مؤمن آل ياسين) قتله قومُه، وهو يتمنَّى له الخيرَ: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾؛ حتى يكونوا مثلي، وينالوا هذه الكرامةَ من الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومثلُه ما حصل مع النبيِّ محمدٍ ﷺ حينما نزل إليه ملكُ الجبال يقول له: إن شئتَ لأُطبِقَنَّ عليهم الأخشبين. فقال النبيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١).

ولمَّا قيل له يا رسولَ الله: إن دوسًا كفَرتْ بالله، فادعُ عليهم. قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»(٢).

وكان يقول ﷺ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»(٣).

فالداعي إلى اللهِ لا بدَّ أن يكون صبورًا حليمًا متمنيًا الخيرَ لمن يدعوهم، قال النبيُّ ﷺ: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(٤).

فالداعي جاء لهدايةِ الناس، وليس لإهلاكهم، فعليه الصبرُ وتمني الخير، فمن اهتدى بسببه فله مثلُ أجره من غير أن ينقُصَ من أجر المهتدي شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

الفائدة الخامسة والعشرون: الهُدَى من الله، والهداية لا يملِكُها مَلَكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مرسَلٌ.

قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ لمَّا حزن على عمِّه أبي طالبٍ لموته على الكفر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص:٥٦].

فالداعي إلى الله- سواء كان نبيًّا مرسلًا، أو عالمًا، أو طالبَ علمٍ، أو واعظًا- ليس عليه إلا البلاغُ بالحِكمةِ والموعظةِ الحسنة والجدال بالتي هي أحسنُ، فهذه هي هداية الإرشاد، وأما هدايةُ التوفيق والسداد فلا يملكها إلا اللهُ، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٢]، وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السادسة والعشرون: يُشترَط في الداعي إلى اللهِ ومعلِّم الناسِ الخيرَ شرطانِ أساسيَّانِ: العِلم والحِلم

قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]؛ أي: أنا ومَن اتبعني ندعو إلى اللهِ على علمٍ وهدًى من اللهِ تعالى.

وقال تعالى لموسى وهارونَ عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

لأن الجاهلَ يُفسِد ولا يُصلِح، والغليظُ الفظُّ يُفسِد أكثرَ ممَّا يُصلِح.

ولذلك دعا هذا الرجلُ المؤمنُ قومَه بأرقِّ عبارةٍ بحِلمٍ وعِلمٍ، وعمل ما عليه مخلصًا لربه، فأكرمه اللهُ بالشهادةِ، وختم له بالسعادة.

الفائدة السابعة والعشرون: ثبوتُ عذابِ القبرِ ونعيمِه

فهذا الرجلُ الصالح بمجرد موتِه قيل له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وقال: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

فهذا دليلٌ على أنه مُنعَّم في قبره، كما أخبر النبيُّ ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[1].

وهكذا أرواحُ عموم المؤمنين، أما أرواحُ الشهداءِ فإنها في حواصلِ طيرٍ خضرٍ تسرَحُ متنقلةً في رياض الجنة، وتأوى إلى قناديلَ معلقةٍ في العرش، وتأكل من ثمار الجنة، وترد أنهارَها.

وهذا النعيمُ كلُّه قبلَ القيامة، وقبل دخول الجنَّةِ ونعيمها.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد تواترت أدلةُ القرآن والسنة على ثبوتِ نعيمِ القبر وعذابه، ومن ذلك:

١- قال تعالى عن قوم نوحٍ عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح:٢٥]؛ أي: بسبب كفرِهم وشِركِهم أغرقهم اللهُ، فأدخلهم نارًا يُعذَّبون فيها مباشرةً قبل القيامة وهي نارُ البرزخ، فالفاءُ تفيد التعقيبَ في قوله: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟﴾.

٢- قال الله تعالى عن فرعونَ وقومِه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر:٤٦]؛ أي: يُعذَّبون في قبورِهم صُبحًا ومساءً، وأما في القيامة فلهم أشدُّ العذاب.

٣- قال عن أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج:١٠]؛ فبيَّن أنَّ لهم عذابين: الأولُ: عذابُ جهنَّمَ في القيامة، والثاني: عذابُ الحريقِ في القبر.

٤- قال عن أهل النِّفاق: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١]؛ أي: يُعذَّبون مرتين: الأولى في

الدنيا، والثانية في القبورِ، ويومَ القيامة يُرَدُّون إلى عذابٍ أعظَمَ منهما.

٥- قال عن عمومِ الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠]؛ أي: تضربهم الملائكةُ عند خروجِ الرُّوح، وتُبشِّرُهم بعذاب الحريقِ في القبور.

٦- قال عن الظالمين المشركين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام:٩٣]؛ فحين تقبِضُ الملائكةُ أرواحهم تقول لهم: اليومَ تُجزَون عذابَ الهُونِ والذلِّ في قبوركم.

٧- قوله تعالى في حقِّ الأصناف الثلاثة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة:٨٣-٩٤]؛ فالفاء تدلُّ على التعقيبِ المباشر؛ أي: بعد قبضِ الروح مباشرة، فالمقرَّبون وأصحابُ اليمين مُنعَّمون في قبورهم، والمكذبون الضالُّون يُعذَّبون في قبورِهم في الحميمِ، ويَصلَونَ الجحيمَ.

٨- قوله تعالى عن الشهداء: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ [البقرة:١٥٤]؛ أي: أحياءٌ عند ربِّهم في حياتهم البرزخيةِ، وإن كنتم أنتم لا تشعرون بذلك، فقد ورد في السنةِ- كما تقدم- أنَّ أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ تسرَحُ في الجنَّةِ، تأكل من ثمرِها، وتشرب من مائها؛ حتى تقومَ الساعة.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠ ۞يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٧١﴾ [آل عمران:١٧١].

٩- قد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في السنة الصحيحة تدلُّ على عذاب القبر ونعيمه، كحديث البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه سالفِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذكر، وكقول النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**»[(١)]؛ فدل الدعاءُ على أنَّ في القبر عذابًا يُستعاذُ منه.

ولمَّا مرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين قال: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»[(٢)].

وغيرُ ذلك من الأحاديث الدالة على ذلك.

الفائدة الثامنة والعشرون: سوءُ عاقبةِ الظالمين، وحسنُ عاقبة المتقين

من أعظمِ الدروس والعِبَرِ من هذه القصَّةِ أنَّ اللهَ تعالى لا يضيعُ أجرَ المصلحين، ولا يصلحُ عملَ المفسدين، فهذا العبدُ الصالح الذي جاء داعيًا إلى التوحيد مناصرًا للرسلِ ودعوتهم أحسَنَ اللهُ عاقبتَه، وأدخله الجنةَ، وغفَر له.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهؤلاء المجرمون أهلكهم اللهُ بصيحةٍ واحدةٍ، فإذا هم جُثثٌ هامدةٌ، لهم عذابٌ في الدنيا، وعذابٌ في القبر، وعذابٌ في النار.

الفائدة التاسعة والعشرون: شؤمُ المعاصي

ما نزل بلاءٌ إلا بذنبٍ، وما رُفِعَ إلا بتوبةٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، قال النبيُّ ﷺ: «فِي الدُّنْيَا»(١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

فهؤلاء لمَّا كذبوا الرسلَ الثلاثةَ وقتلوا الرجلَ الصالحَ الذي ينصحهم ويدعوهم إلى الله، أهلكهم الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣٩)، وأحمد (٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومثلُ ذلك قولُ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر:٦-١٤].

الفائدة الثلاثون: عظيم قدرة الله تعالى

اللهُ جل وعلا من أسمائه القادرُ والقديرُ والمقتدرُ، فهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وإذا أراد شيئًا فإنما يقولُ له: «كن»؛ فيكون، فالله جل وعلا أهلك أهلَ هذه القرية بصيحةٍ، بصرخةٍ واحدةٍ، بصوتٍ عالٍ، خلع به قلوبَ الكافرين، وصاروا صرعى كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ، وكانوا أحقرَ وأهونَ على الله من أن يُنزِلَ ملائكةً لإهلاكهم، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩﴾.

هذا ما تيسَّر ذكرُه من فوائدِ في هذه القصةِ، ونسألُ الله تعالى أن يعلِّمَنا ما ينفَعُنا، وأن ينفَعَنا بما علَّمنا، وأن يرزقَنا الإخلاصَ والتوفيقَ والسدادَ، ويجعَلَنا من عبادِه المجاهدين في سبيلِه بالعلمِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النافعِ والعملِ الصالح، ونسأله الثباتَ على الحقِّ، والهدى، وحسنَ الخاتمة!

وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين!

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: الآيات الواردة في القصة	٥
المبحث الثاني: تفسير الآيات وبيان معانيها	٦
المبحث الثالث: الدروس والعبر والفوائد الفقهية المستفادة من القصة	١٢
الفائدة الأولى: الأمثالُ في القرآنِ العظيم	١٢
الفائدة الثانية: من فوائد قصةِ مؤمن آل ياسين أنَّ طريقَ العلمِ الصحيح هو الوقوفُ مع الحقائق	٢٠
الفائدة الثالثة: بيان الحِكمة من إرسال الرسل	٢٠
الفائدة الرابعة: بيان جواز تعدد الرسل في زمن واحد ومكان واحد	٢٢
الفائدة الخامسة: وجوب إرسال الدعاة إلى البلدان	٢٢
الفائدة السادسة: وجوب طلب العلم الشرعي	٢٢
الفائدة السابعة: وجوب نُصرةِ أهلِ العلم وتعضيد بعضِهم	٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لبعض، وإرشادِ بعضهم على بعض
الفائدة الثامنة: وجوب الدفاع عن أهل الحق والاتباع ٢٣
الفائدة التاسعة: وجوبُ العذرِ بالجهل ٢٣
الفائدة العاشرة: حجة أهل الباطل في تكذيبهم للرسل أنهم بشَرٌ مثلُهم ٢٦
الفائدة الحاديةَ عشرةَ: الحَسَدُ داءٌ عُضالٌ ٢٧
الفائدة الثانيةَ عشرةَ: الدعاةُ المخلصون الموحدون لا يمنعهم مانعٌ من تبليغِ دعوة الله ٢٨
الفائدة الثالثة عشرة: الطِّيَرةُ شِركٌ ٣٠
الفائدة الرابعة عشرة: العملُ للدين مسؤولية الجميعِ ٣١
الفائدة الخامسة عشرة: من أهمِّ أسبابِ نجاح الداعي إلى الله في دعوته والمعلِّم في تعليمِه والمربي في تربيته أمران ٣٣
الفائدة السادسة عشرة: توحيدُ الله وإفرادُه بالعبودية غريزةٌ فِطرية، وسنة ربانية ٣٣
الفائدة السابعة عشرة: النفعُ والضرُّ لا يملكه إلا اللهُ ٣٥
الفائدة الثامنة عشرة: المنحرفُ عن التوحيدِ الصحيح في ٣٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضلالٍ مبينٍ

الفائدة التاسعة عشرة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلًا ولا يمنع رزقًا ٣٨

الفائدة العشرون: من المراد بالشهيد ٣٩

الفائدة الحادية والعشرون: الشهيدُ الذي قُتِل بيدِ الكفار لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا من أهل الجنَّة وله عند ربِّه كراماتٌ عظيمةٌ ٤٢

الفائدة الثانية والعشرون: المؤمن يُبشَّر بالجنَّة وهو على فراشِ الموتِ ٤٣

الفائدة الثالثة والعشرون: تمنِّي الشهداء الخيرَ وتكلُّمِهم بعد موتِهم وهم في قبورِهم ٤٩

الفائدة الرابعة والعشرون: ينبغي على الداعي إلى اللهِ والمربِّي ومعلِّم الناس الخيرَ أن يتمنَّى لهم الهدايةَ والصلاحَ مهما كانت الظروفُ ٥٠

الفائدة الخامسة والعشرون: الهُدَى من الله، والهداية لا يملِكُها مَلَكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مرسَلٌ ٥٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السادسة والعشرون: يُشترَط فى الداعي إلى اللهِ ومعلِّم الناسِ الخيرَ شرطانِ أساسيَّانِ: العِلم والحِلم ٥٣
الفائدة السابعة والعشرون: ثبوتُ عذابِ القبرِ ونعيمِه ٥٤
الفائدة الثامنة والعشرون: سوءُ عاقبةِ الظالمين، وحسنُ عاقبة المتقين ٥٨
الفائدة التاسعة والعشرون: شؤمُ المعاصي ٥٩
الفائدة الثلاثون: عظيم قدرة الله تعالى ٦٠